واو الثمانية في العربية

محمد علي مسعود عمران الشريف*

ملخص البحث

تناول هذا البحث واو الثمانية عند القدماء والمحدثين واستعمالات الواو في لغة العرب وهو رأي ذهب إليه ابن خالويه والحريري والمالقي والرازي وجماعة من النحاة والشواهد التي يستشهد بها القائلون بها .

إن من خصائص كلام العرب إلحاق الواو في الثامن من العدد ، فيقولون : (واحد ، اثنان ، ثلاثة أربعة ، خمسة ، ستة ، سبعة ، وثمانية) ، وقد استدلوا على مذهبهم ببعض الآيات القرآنية الكريمة استعرضُها موضِّحا ما قاله هؤلاء ، وقرنتً ذلك بتخريج العلماء الذين لا يرونها هم ، وقد بيّنت في نهاية البحث الرأي الذي خرجت به نتيجة الدراسة.

مقدمة

واو الثمانية هو أحد استعمالات الواو في لغة العرب وهو رأي ذهب إليه مجموعة من النحاة سنرى آراءهم في هذا البحث إن شاء الله.

حرف الواو

هو الحرف السابع والعشرون من حروف الهجاء في الترتيب الألفبائي ، والسادس في الترتيب الأبجدي . وهو حرف مجهور مخرجه من بين أول اللسان ووسط الحنك الأعلى ، أصلها على الأرجح (وَيَوُ ُ) تقول : وَيَّيْتُ واو حسنة : كتبتها . وهو حرف علة إذا تحركت ، وحرف علة ولين إذا كانت ساكنة وقبلها حركة لا تناسبها ، نحو : (قَوْل) وحرف علة ومد ولين إذا كانت ساكنة وقبلها حركة تناسبها ، نحو: (غُول).

وحرف الواو ينقسم إلى قسمين: عامل ، وغير عامل ، والعامل قسمان : جار وناصب ، فالجار: واو (رُبَّ) ، والناصب واو (مَعَ) الذي ينصب المفعول معه ، والواو الذي ينصب الفعل المضارع عند الكوفيين.

والواو غير العاملة أقسام كثيرة ، منها: العاطفة ، والاستئنافية ، والحالية ، والزائدة ، والتي بمعنى (أو) ، و واو الثمانية ، والتي هي علامة الجمع ، وواو الإنكار ، وواو التذكار ، والواو التي هي بدل من حرف آخر ، والواو التي هي ضمير الجمع ، والواو التي هي علامة الرفع ، وواو الإشباع ، وواو الإطلاق....(1)

ومنهم من يقسم الواو قسمين : قسم أصل ، وقسم بدل من أصل ، والقسم الأول التي تكون فيه أصلا تنقسم قسمين: قسم في أول اللفظ زائدة ، وقسم موضوعة في الكلمة نفس ، والقسم الأول التي تزداد على اللفظ أولا ، فيه ستة أنواع : العاطفة ، الابتدائية(والاستئنافية) ، الحالية ، واو القسم الواو التي بمعنى(مع) ، الناصبة للفعل المضارع بعدها بإضمار(أنْ)(2)

أما الموضوعة في الكلمة نفسها فتكون في ثمانية مواضع :

1- أن تكون علامة للجمع المذكر السالم .

2- أن تكون علامة الجمع في الفعل الماضي والمضارع إذا تأخرت الأسماء عنها .

3- أن تكون دالة على التذكير ، أو على التذكير والجمع .

4- أن تكون إشباعا للضمة .

5 – أن تكون إطلاقا للقافية المطلقة لأجل الوزن .

6 – أن تكون للتذكير الماضي .

7 – أن تكون للوقوف .

8 – أن تكون في بنية الكلمة(3)

ويرى أبو إسحاق الزجاج أن دخول الواو وإخراجها واحد في قوله تعالى : ﴿... وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾(4)

حيث يقول ـ رحمه الله ـ عن هذه الواو : « دخول الواو ههنا وإخراجها من الأولى واحد ، وقد يدخل حرف الواو ليدل على انقطاع القصة وأنّ الشيء قد تمَّ»(5).

في رواية التوبة والتحريم لم يذكر شيئًا ؛ وقوله : « ههنا » يريد الآية المذكورة , وقوله : « الأولى » يريد ما سبق من الآية نفسها وهو قوله تعالى : ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْماً بِالْغَيْبِ﴾ ، فأبو إسحاق يرى له في هذه الواو رأيين :

أحدهما : وهو أنّ دخولها وخروجها سواء .

والآخر : وهو أنّ الواو تدل على تمام القصة وانقطاع الكلام (6).

وأرى من خلال الرأي الثاني إلى أنه يذهب إلى أنّها مؤكِدةٌ عدتهم ، وبعدها ينقطع الخوض بالعدة . ولم يذكر ما يشير إلى أنّها واو الثمانية . وهذا يدل على أنّه ليس من القائلين بها .

وقال أبو جعفر النحاس ـ رحمه الله ـ : « . . . وفي المجيء بالواو (وثامنهم) خاصة دون ما تقدم قولان :

* كلية التربية . براك ـ جامعة سبها

أحدهما : أنّ دخولها وخروجها واحد.
والآخر : أنّ دخولها يدل على تمام القصة وانقطاع الكلام . . .فيكون المعنى عليه أنّ الله جل وعز خبّر بما يقولون ثم أتى بحقيقة الأمر فقال : "وثامنهم كلبهم" (7) .
ذكر النحاس لهذه الواو الواردة في سورة الكهف رأيين:
1- أنّها زائدة ، أي زائدة في الإعراب لا في المعنى .
2- أنّها مصدقة لخبر القائلين بهذا العدد .
ولم يذكر ما يشير إلى أنّها واو الثمانية .
وقال ابن هشام : « والتاسع : واو الثمانية ، ذكرها جماعة من الأدباء ، ومن النحويين الضعفاء كابن خالويه »(8) .
وقال الرماني (9) : ((واختلف العلماء في قوله تعالى : ﴿ حَتَّى إِذَا جَاؤُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا ﴾)) (10)
وذهب المبرد إلى أن الواو زائدة ، والتقدير : حتى إذا جاءوها فتحت أبوابها....والمنفي التحليل من الآية والقول فيها.....والتقدير حتى إذا جاؤوها وفتحت أبوابها فازوا ونعموا(11).
وذهب بعض المفسرين إلى أن الواو ها هنا تدل على أن للجنة ثمانية أبواب ، قال : لأن العرب تستعمل الواو فيما بعد السبعة ، واحتج على ذلك بقوله تعالى : ﴿... وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾
وكان على بن عيسى(12) يصحح هذا القول ، ومما يؤنس له قوله تعالى : ﴿التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدونَ الآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ (13)
وفتحت الواو على ما يجب في الحروف الأحادية ، وما سوى هذه من الحروف الأحادية ليس هذا موضع تفسيرها.
والرماني لم يذكر هذه الواو بأنها واو الثمانية بالتحديد ، ولكنه أوحى بذلك بأن العرب يستعملونها بعد العدد سبعة واحتج على ذلك بالآية ((وثامنهم كلبهم)) (14)
ذكر أصحاب الصفات السبعة وقبل ((والناهون عن المنكر)).
وقال الهروي في باب مواضع الواو : « اعلم أنّ للواو اثني عشر موضعًا »(15) . ثم عددها ولم يذكر منها واو الثمانية.
وواضح من عنوان الكتاب أنّه متخصص في مباحث الحروف وما يختص به كل حرف . والهروي رحمة الله ـ من أئمة النحو ؛ ومع هذا لم يذكر من استعمالات الواو واو الثمانية .
قال الحريري عن الواو (16) : « ومن خصائص لغة العرب إلحاق الواو في الثامن من العدد، كما جاء في القرآن ﴿التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدونَ الآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ .
وكما قال سبحانه : ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ ﴾.
نرى أنّ الحريري ـ رحمه الله ـ يقول بها على سبيل الجزم بوجودها بلغة العرب .
وكونها من خصائص اللغة فهذا يقتضي شيوعًا في الاستعمال ؛ وأن يكون دخولها هو القاعدة وما عداه فشاذ؛ ولكنّ استعراض مجموعة من الآراء لا يؤيد هذا المذهب . كما أني لم أجد شيوعًا في استعمالها في لغتنا .
وقد ضعّف ابن هشام ما ذهب إليه الحريري فقال : « ذكرها أي واو الثمانية جماعة من الأدباء كالحريري . . . وزعموا أنّ العرب إذا عدوا قالوا : «ستة سبعة وثمانية »[17]
وبقراءة تحليلية لكلام ابن هشام نجد فيه تضعيفًا لرأي الحريري حيث أشار إلى أنّه من الأدباء .
وأرى هذا الرأي مضعفًا رأي الحريري ؛ لأنّ الأدباء ليسوا من الذين يعتد برأيهم في المسائل العلمية الصرفة ، فالأدب الغالب فيه أنّه فن يخضع للقول والاستطراد ، وليس محدوداً بقواعد . فما قاله زيد في الأدب قد ينقضه عمرو ، وكلاهما صواب . من هنا أرى أنّ الأديب الذي غلب عليه الأدب لا يعول على رأيه في المسائل العلمية, وإنما قد يستأنس به .
إن الإنتاج الأدبي الغالب فيه تأثره بالحالة الشعورية التي تصحب الأديب عن إنتاجه العمل الأدبي ؛ والأديب نفسه يكون إفرازه الأدبي متعدد الصور لحدث واحد . فما يسوؤه في يومه قد يسعده في غده ؛ بسبب ما يتلبس به الأديب من حالة شعورية ساعة ولادة العمل الأدبي ، بسبب ما يلتبس به الأديب من خالة شعورية ساعة ولادة العمل الأدبي لذلك فإنني أرى أن الحريري انطلق من ذوقه وإحساسه بجمال التسمية.
و الحريري وإن كان في عداد الأدباء بسبب شهرة مقاماته إلا أن له إسهاماتٍ في النحو تتمثل في منظومته (ملحة الإعراب) التي عدد أبياتها سبعة وسبعون وثلاثمائة بيت .
ويرى الزمخشري كلامه عن آية سورة الكهف في قوله تعالى :﴿سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْماً بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ﴾.
قال: ((فإنّ قلتَ : ما هذه الواو الداخلة على الجملة الثالثة؟ ولم دخلت عليها دون الأوليين؟ قلتُ : هي الواو التي تدخل على الجمل الواقعة صفة للنكرة ، كما تدخل على الواقعة حالاً في نحو قولك:جاءني رجل ومعه آخر, ومررت بزيد وفي يده سيف ، ومنه قوله تعالى :﴿ وَمَا أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلاَّ وَلَهَا كِتَابٌ مَّعْلُومٌ ﴾))[18] .
وفائدتها توكيد لصوق الصفة بالموصوف ، والدلالة على أنّ اتصافه بها أمر ثابت مستقر ؛ وهذه الواو هي التي آذنت بأنّ الذين قالوا سبعة قالوه عن ثابت علم وطمأنينة نفس ، ولم يرجموا بالظن كما رجم غيرهم ؛ والدليل على ثبات قولهم أنّ الله سبحانه وتعالى أتبع القولين الأولين قوله : "رجماً بالغيب" وأتبع الثالث قوله : "وما يعلمهم إلا قليل" .
وقال : "سبعة وثامنهم كلبهم " على القطع والثبات » (19)

قوله عن سورة التحريم وهي قوله تعالى : ﴿عَسَى رَبُّهُ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُ أَزْوَاجاً خَيْراً مِّنكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُّؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَاراً ﴾ [20] .

قال : « فإنّ قلت : لم أُخليت الصفات كلها عن العاطف ووسط بين الثيبات والأبكار ، قلت : لأنّهما صفتان متنافيتان لا يجتمعن[21] فيهما اجتماعهن في سائر الصفات فلم يكن بد من الواو » .

نلاحظ في قوله عن آية سورة الكهف أنه ذكر لهذه الواو في هذه الآية ما يلي:

1- أنّها الواو التي تدخل على الجمل الواقعة صفة للنكرة .

2- أنّ لها فائدتين :

أ- توكيد لصوق الصفة بالموصوف .

ب ـ الدلالة على أنّ اتّصافه بها أمر ثابت مستقر .

3- الدلالة على القطع والثبات في الإخبار .

وأمّا عن الواو في آية التحريم فعلّل دخولها ؛ لأنها بين صفتين متنافيتين ، وهما صفة الثيوبة والبكارة ولا يُتصور وجودهما معاً في امرأة واحدة . مع أنّ ورود الواو جاء بعد الصفة السابعة .

فالزمخشري ـ رحمه الله ـ على إمامته في اللغة لم يتعرض لذكر واو الثمانية ، وحاصل قوله عن آية الكهف أنّها مؤكِدة ، وعن آية التحريم أنّها فارقة بين متنافيين .

وقوله في تعليله السابق عن واو سورة الكهف: [إنّها الواو التي تدخل على الجمل الواقعة صفة للنكرة] هذا تعليلٌ نحويٌ علمي ، لم يُبنَ على الاستحسان والذوق .

وهذا يضعف رأي الحريري ـ رحمه الله ـ .من القول بواو الثمانية ، وجزمه بأنّها من خصائص لغة العرب .

وقال السهيلي ـ رحمة الله ـ في كتابه شرح سيرة ابن هشام عن آية الكهف : «... والذي يليق بهذا الموضع أن تعلم أنّ الواو تدل على تصديق القائلين ؛ لأنها عاطفة على كلام مضمر تقديره : نعم وثامنهم كلبهم , وذلك أنّ قائلاً لو قال : أزيدٌ شاعر فقلت له وفقيه كنت قد صدّقته كأنك قلت : نعم هو كذلك وفقيه أيضاً » (22) .

ولتأكيد مذهبه في أنّ الواو مؤكدة ساق مثالين من القرآن والسنة . قال : «وفي التنزيل :﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَـَذَا بَلَداً آمِناً وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُم بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلاً ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾ [23]. ثم قال : «هو من هذا الباب » [24] .

قلت : أي أنّه من باب أنّ حصول الرزق لمن بعد الواو مؤكِدٌ حصوله لمن قبلها ، فسأرزق من كفر أيضاً . فعندما يرزق الله الكافر من غير دعاء فهذا تأكيد لرزق المؤمن المدعو له .

وقال ـ رحمه الله ـ : « وفي الحديث سئل رسول الله ﷺ : أيُتوضأ بما أفضلت الحمر؟ فقال : « وبما أفضلت السباع »[25] يريد : نعم وبما أفضلت السباع .

فحاصل رأي السهيلي أنّ هذه الواو ليست واو الثمانية ، بل تدل على أنّ الذين قالوا إنّهم سبعة هم الذين قولهم موافق للحقيقة ؛ فهي مؤكدة .

أ- تحدث الرازي في البداية عن آية سورة التوبة حيث قال : «... فإن قيل كيف قال تعالى : "والناهون عن المنكر" بالواو وما قبلها من الصفات بغير واو؟ قلنا : لأنها صفة ثامنة ، والعرب تدخل الواو بعد السبعة إيذاناً بتمام العدد ؛ فإنّ السبعة عندهم هي العقد التام كالعشرة عندنا » .

ب ـ قال : « ونظيره قوله تعالى : ﴿ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ﴾.

ج ـ وقوله تعالى في صفة الجنة : "وفُتحت أبوابها"[26] بالواو ؛ لأنها ثمانية . وقال في صفة النار نعوذ بالله منها : "فُتحت أبوابها"[27] بغير واو لأنّها سبعة .

د ـ وليس قوله تعالى : ﴿ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَاراً ﴾ . من هذا القبيل ؛ لأنّ الواو لو أسقطت فيه لاستحال المعنى ؛ لتناقض الصفتين [28] .

تحليل رأي الرازي :

تبين من كلام الرازي أنّه من القائلين بورود واو الثمانية في لغة العرب . بل ذهب بعيدًا حين عدَّ من هذا آية سورة الزمر ، مع أنّه لم يذكر فيها عدد أصلاً .

وقد ذكر ابن القيم ـ رحمه الله ـ تضعيفه لهذا الرأي حيث قال : « وهذا في غاية البعد ولا دلالة في اللفظ على الثمانية »(29) .

وقال ابن هشام عن هذا الموضع : « لو كان لواو الثمانية حقيقة لم تكن هذه الآية منها؛ إذ ليس فيها ذكر العدد البتة » (30).

وأشار القرطبي ـ عليه رحمة الله ـ إلى أنّ الواو في قوله تعالى : ﴿ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ﴾ أشار إلى ما يفيد أنّ رأي النحويين فيها أنّها عاطفة زيدت لتوكيد صحة العدد .

ثم نقل رد القشيري على الذين يقولون إنّ السبعة نهاية العدد عندهم حيث قال : قال القشيري أبو نصر : ومثل هذا الكلام تحكُّم ,ومن أين السبعة هي نهاية عندهم! ثم هو منقوض بقوله تعالى : ﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ . ..﴾ [31]. ولم يذكر الاسم الثامن بالواو .

ثم قال : قال القشيري : « لم يذكر الواو في قوله : رابعهم سادسهم, ولو كان بالعكس لكان جائزًا, فطلب الحكمة والعلة في مثل هذا تكلُّف بعيد » [32] .

تحليل رأي القشيري :

« لو كان بالعكس لكان جائزًا » أي لو أنّ الواو ذُكرت مع رابعهم سادسهم وأُسقطت من ثامنهم لكان هذا الأمر جائزاً ؛ لأنّ الواو على مذهبه ليست خاصة بهذا العدد . بل ذهب إلى أكثر من هذا حيث صرّح أنّ طلب العلة لهذه الواو تكلف ، فحذفها جائز وإيرادها جائز ، فهو مما يسوغ في اللغة واستشهد لجواز الإيراد بقوله تعالى :﴿ وَمَا أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلاَّ وَلَهَا كِتَابٌ مَّعْلُومٌ ﴾ ، وللحذف بقولها تعالى : ﴿ وَمَا أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ ﴾.

وابن القيم في بداية حديثه عنها قال : « قولهم إنّ الواو تأتي للثمانية ليس عليه دليل مستقيمٌ وهذا تصريح بضعف رأي القائلين بوجود واو بهذا الاسم في لغة العرب » .
أقول : تصريح بضعف ولا أقول بنفي ؛ لأننا سنجد له – رحمه الله ـ بعد قليل ميلاً إلى احتمال صحة هذا الرأي في واو آية الكهف "وثامنهم كلبهم" .
كذلك قوله : « دليل مستقيم » فلفظة مستقيم لا تنفي صراحة صحة الدليل وإنما هي إشارة إلى ضعفه .
ثم استعرض المواضع التي يراها القائلون شواهد على واو الثمانية مبتدئا بآية التوبة وهي قوله تعالى: ﴿التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدونَ الآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ ﴾ .
فقال : «... حَسُنَ العطف ليبين أنّ كل وصف منهما قائم على حِدَته مطلوب بتعيينه لا يُكتفى فيه بحصول الوصف الآخر بل لابد أن يظهر أمره بالمعروف بصريحه ونهيه عن المنكر بصريحه » [33] .
قلت : فمفهوم كلام ابن القيم أنّ الواو ليست واو الثمانية ؛ فعلة دخولها أنّ كلاً من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قائم بذاته فلا يكفي واحد منهما عن الآخر فورودها لنكتة معنوية مرادة بعينها ، لا لخصيصة من خصائص لغة العرب ، كما ذهب إليه الحريري .
كلامه عن آية سورة التحريم وهي قوله تعالى : ﴿ عَسَى رَبُّهُ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُ أَزْوَاجاً خَيْراً مِّنكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُّؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَاراً ﴾ .
قال عن هذه الآية : «فقيل هذه واو الثمانية لمجيئها بعد الوصف السابع وليس كذلك ودخول الواو ههنا متعين ؛ لأنّ الأوصاف التي قبلها المراد اجتماعها في النساء ، وأمّا وصفا البكارة والثيوبة فلا يمكن اجتماعهما ؛ فتعين العطف ؛ لأنّ المقصود أنّه يزوجه بالنوعين الثيبات والأبكار » [34] .
فهو هنا يرد على القائلين بأنّها واو الثمانية ؛ لأنّ العطف يقتضي المغايرة ، وبهذا يتوافق مع الزمخشري بتعليل ورود الواو في هذه الآية .
وقال عن آية سورة الكهف وهي قوله تعالى : ﴿ سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْماً بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ﴾.
وابن القيم هنا ـ عليه رحمة الله ـ لم ينفِ صراحةً مسمى واو الثمانية عن هذا الموضع؛ حيث قال : « قيل : وإدخال الواو ههنا لأجل الثمانية ،وهذا يحتمل أمرين أحدهما هذا » يقصد بقوله : « هذا » أي إدخال الواو: أي أنّ أحد الاحتمالين أن تكون الواو للثمانية ؛ فعبارته هنا تدل على ميله إلى القول بواو الثمانية في هذا الموضع . فعندما قال : إنّ أحد الاحتمالين هو كون الواو للثمانية فهذه موافقة منه ـ رحمه الله ـ ولكنّها ليست موافقة جازمة جزمه بآرائه السابقة؛ لأنّه صدّر كلامه بعبارة التمريض « قيل » وقال أيضاً في مبدأ كلامه عن ورود واو بهذا الاسم : «ليس عليه دليل مستقيم » .
ولأنه لم يجد تعليلاً يرضاه يُخرج به الواو عن القول بأنّها واو الثمانية , ولم يمل مع التعليلات المذكورة عند من سبقوه . خاصة تعليلات الزمخشري ـ رحمه الله ـ التي أخرج بها الواو عن هذا المسمى في هذا الموضع ؛ لهذا لم ينفرد برأي ، وهنا رأيته ينقل رأي السهيلي ، وملخصه أنّ هذه الواو تؤذن بتمام الكلام وتقرير القول .
وهذا الرأي هو الأقرب لاختياره .
ثم تحدث عن آية سورة الزمر وهي قوله تعالى : "وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمراً حتى إذا جاءوها و فُتحت أبوابها" فأتى بالواو لما كانت أبواب الجنة ثمانية، وقال في النار"حتى إذ جاءوها فتحت أبوابها"[35] لما كانت سبعة .
قال عن دلالة هذه الواو على الثمانية : « وهذا في غاية البعد » ثم علل إيرادها بقوله : « ففُتحت في وجوههم ؛ لأنّه ابلغ في مفاجأة المكروه » .
« وأمّا الجنة فلما كانت دار كرامة وهي مأدبة الله . . . أتى بالواو العاطفة ههنا الدالة على أنهم جاءوها بعدما فتحت أبوابها »[36].
ويرى أبو حيان أنّ ((والواو في" وثامنهم" للعطف على الجملة السابقة : أي يقولون هم سبعة وثامنهم كلبهم ، ثم أخبروا إخباراً ثانياً أنّ ثامنهم كلبهم فيهما جملتان»[37]
فأبو حيان ـ عليه رحمة الله ـ مع عنايته بالمباحث النحوية ، وإمامته في علم النحو لم يذكر ما يدل على أنّه يرى أنّها واو الثمانية ؛ ومفهوم كلامه أنّها عاطفة للتوكيد.
وقال ابن هشام عن آية سورة الكهف وهي قوله تعالى : ﴿ سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْماً بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ﴾.: « وزعموا أنّ العرب إذا عدوا قالوا : ستة سبعة وثمانية »
وفي قوله زعموا تصريح بضعف هذا الرأي , لهذا رأيناه يأخذ بالرأي الذي يقول بأنها عاطفة للتصديق . أي تصديق خبر عدتهم أنّهم ثمانية .
ولميله أنّها للتصديق رأيته يفترض اعتراضاً ثم يجيب عليه حيث قال : « فإن قلت إذا كان المراد التصديق فما وجه مجيء "قل ربي أعلم بعدتهم ما يعلمهم إلا قليل" ؟ [38] ..
قلت : وجه الجملة الأولى وهي قوله تعالى : ﴿ رَبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهم ﴾ لتوكيد صحة التصديق بإثبات علم المصدِّق ؛ ووجه الجملة الثانية وهي قوله تعالى :﴿ مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾ وجه هذا الإشارة إلى أنّ القائلين تلك المقالة الصادقة قليل ، أو أنّ الذي قالها منهم عن يقين قليل ، أو لما كان التصديق في الآية خفياً . . . قيل ذلك»[39] .
رأيه في آيتي الزمر وهما قوله تعالى : ﴿ وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَراً حَتَّى إِذَا جَاؤُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا. . .﴾ ، وقوله تعالى : ﴿ وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَراً حَتَّى إِذَا جَاؤُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا ﴾.

قال : « لو كان لواو الثمانية حقيقة لم تكن الآية منها ، إذ ليس فيها ذكر العدد البتة . . . ثم الواو ليست داخلة عليه » ـ أي على العدد .

وقيل عن هذه الواو إنّها مقحمة كما ذهب إليه الهروي في كتابه « الأزهية في علم الحروف » .

« وقيل هي واو الحال ... وهذا قول المبرد والفارسي وجماعة » [40] .

نجد أنّ ابن هشام يقطع هنا بأنّ الواو ليست واو الثمانية ؛ بل يذكر ما يشير إلى أنّه لا حقيقة لوجودها في لغة العرب وهذا بقوله السابق: « لو كان لواو الثمانية ...» .

رأيه في آية سورة التوبة وهي قوله تعالى : ﴿ التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدونَ الآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ ﴾[41] .

هو يرى أنّها عاطفة وعلل ورودها بقوله : « . . . أنّ الأمر والنهي من حيث هما أمر ونهي متقابلان . . . وأنّه لا يُكتفى فيه بما حصل في ضمن الآخر»[42] .

رأيه في آية سورة التحريم وهي قوله تعالى : ﴿ عَسَى رَبُّهُ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُ أَزْوَاجاً خَيْراً مِّنكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُّؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَاراً﴾ [43] .

« والصواب أنّ هذه الواو وقعت بين صفتين هما تقسيم لمن اشتمل على جميع الصفات السابقة ؛ فلا يصح إسقاطها إذ لا تجتمع الثيوبة والبكارة . . . »(44) .

« ثم إنّ أبكاراً صفة تاسعة لا ثامنة ، إذ أول الصفات "خيراً منكن" » (45).

هذا ملحظ دقيق منه ـ عليه رحمة الله ـ فهو يقول على افتراض صحة وجود هذه الواو في لغة العرب فلا يُعد هذا الموضع منها ؛ لأنّه يرى أنّ الواو وردت بعد الصفة الثامنة لان السابعة؛ فقوله تعالى : "خيراً منكن" هي الصفة الأولى.

وهذا مذهب سبق إليه ابن هشام ، فلم أرَ من قال به من الذين استعرضت أقوالهم .

ثم نبه على سهو الثعلبي بقوله عن الواو في قوله تعالى : "سبع ليال وثمانية أيام حسوماً" (46) بأنّها واو الثمانية . حيث قال : « . . . فسهو بيّن وإنما هذه واو العطف وهي واجبة الذكر » [47].

وذكر المالقي أن واو الثمانية هي التي في نحو قوله تعالى : ((حتى إذا جاءوها وفتحت ابوابها))[48]

قال بعضهم : الواو هنا تدل على أن أبواب الجنة ثمانية ، وقوله تعالى : ((والناهون عن المنكر)) لأنها أتت في الثامن من الأسماء التي قبلها ، وقوله تعالى : ((وأبكارا)) أتت في الثامن بعد السبعة الأسماء قبلها ، وقوله تعالى : ((وثامنهم كلبهم)) ، وهذه الواو وإن وقعت دالة على الثمانية أو في الثامن لا يخرجها ذلك عن معنى العطف أو واو الحال في مثل((وفُتِحَتْ)) كما ذكر ووقعت في الثامن بالعرض لا بالقصد [49].

نلاحظ أن المالقي ذكر واو الثمانية وسماها بهذا المسمى في آية الزمر وآية التوبة ، وأتت في الثامن بعد السابع في آية الواقعة ، وهي وإن دلت على ثمانية ، أو في الثامن فإن ذلك لا يخرجها عن معنى العطف أو واو الحال.

وذكرالسيوطي أن الكوفيين والأخفش تكون عندهم زائدة في نحو قوله تعالى : ﴿حَتَّى إِذَا جَاؤُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا﴾ ، و ﴿فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ وناديناه﴾ [50]

إحدى الواوين في الآيتين زائدة ، إما الأولى وإما الثانية.

وغيرهم قال : لا تزاد ، وهي فيهما عاطفة ، والجواب محذوف ، أو حالية في الأولى أي جاءوها وقد فتحت أبوابها من قبل إكراما لهم أن يقفوا حتى تفتح لهم (51).

وأثبت الحريري وابن خالويه واو الثمانية ، وقالا : لأن العرب إذا عدّوا لها قالوا : ستة ، سبعة وثمانية إيذانا بأن السبعة عدد تام وما بعده عدد مستأنف ، واستدلوا بقوله تعالى : ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ ﴾ إلى قوله (وثامنهم) وقوله في آية الجنة : (وفُتحتْ أبوابها) لأن أبوابها ثمانية بخلاف آية جهنم لأن أبوابها سبعة . وقوله : (والناهون عن المنكر) فإن الوصف الثامن ، وقوله : (وأبكارا)

ولم يذكر هذه الواو أحد من أئمة العربية ، ووجهت في الآية الأولى بأنها لعطف جملة على جملة ، أي هم سبعة وثامنهم ، وفي الثانية زائدة أو عاطفة ، أو حالية كما تقدم ، وفي الثالثة عاطفة لأن الأمر و النهي صفتان متقابلتان بخلاف بقية الصفات ، وكذا في الرابعة لعطف صفتين متقابلتين ؛ إذ لا تجتمع الثيوبة والبكارة[52]

رأى السيوطي أنها زائدة على رأي الكوفيين والأخفش كما في آية الزمر والصافات ، وأما غيرهم فيرون أنها لا تزاد وهي في الآيتين عاطفة وجوابها محذوف ، أو حالية في الأولى. وأورد أن الحريري وابن خالويه اثبتا هذه الواو لأن العرب يعتبرون أن السبعة عدد تام ، وما بعده مستأنف ، وبالرغم من ذلك فإن[53]. هذه الواو لم يذكرها أحد من أئمة العربية ووجه الواو في الأولى على أنها عاطفة وفي الثانية على أنها زائدة ، أو عاطفة أو حالية ، وفي الثالثة والرابعة عاطفة.

وذكر بهاء الدين العاملي : أن واو الثمانية في مثل قوله : (ثيبات وأبكارا) ، وقوله تعالى : ﴿الآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ ، وقوله تعالى : ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَراً حَتَّى إِذَا جَاؤُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾

أتى بالواو هنا ولم يأت بها في ذكر جهنم لأن أبواب النار سبعة وأبواب النار ثمانية.[54]

وقال : ((حكى لي بعض الأفاضل عن بعض الحكام في المدن الكبار أنه ألقى درسا في هذه الآية الكريمة ، وقال : قال في حق أهل جهنم أنهم لما جاءوها فتحت لهم أبوابها على التعقيب ؛ لأن الفاء للتعقيب ، لم يمهلوا للدخول بل

ادخلوها على الفور ، وأما أهل الجنة فإنهم لم يضطروا إلى الدخول بل أمهلوا لأنه قال ((وفتحت))[55]

نرى أن العاملي ذكر هذه الواو بالاسم واستشهد على ذلك بآية الزمر التي تتحدث عن أهل الجنة ، الجنة التي فتحت لهم أبوابها الثمانية. بخلاف أبواب النار السبعة

وذكر أميل بديع يعقوب أن واو الثمانية ذكرها جماعة من النحاة منهم ابن خالويه ، والحريري ، وقد زعموا وان من خصائص كلام العرب إلحاق الواو في الثامن من العدد ، يقولون : (واحد ، اثنان ، ثلاثة ، أربعة ، خمسة ، ستة ، سبعة ، وثمانية)

وقد استدلوا على مذهبهم ببعض الآيات القرآنية الكريمة ، ومنها : ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْماً بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ [2] ، وقوله تعالى : ﴿التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدونَ الآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ ﴾، وقوله تعالى :﴿عَسَى رَبُّهُ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُ أَزْوَاجاً خَيْراً مِّنكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُّؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَاراً ﴾ [17] ، وقوله تعالى : ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَراً حَتَّى إِذَا جَاؤُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ﴾.

وقال : (ويرى جمهور النحاة أن الواو في هذه الآيات إما عاطفة ، وإما حالية ، وأما قوله تعالى : {وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ} فقيل هي واو العطف ، أو واو اللصوق التي تؤكد لصوق الصفة بالموصوف ، والدلالة على أن اتصافه بها أمر ثابت مستقر ، أما قوله تعالى : {وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ} فالواو فيها عاطفة وقيل زائدة.

وأما قوله تعالى : ﴿وَأَبْكَاراً﴾ فالواو فيها عاطفة بين وصفين لا يجتمعان في محل واحد.

وأما قوله تعالى : ﴿وَفُتِحَتْ﴾ ، فقيل هي واو الحال أو مقحمة في جواب إذا(56).

وقال الطريفي : (الواو التي تسمى بواو الثمانية : وهذه تكون في العد نحو قوله تعالى :﴿سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْماً بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾.

أرى أن هذا النحوي ذكر واو الثمانية بمسماها وأنها تكون في العد واستشهد بالآية المذكورة.

ويرى د/ علي توفيق الحمد ، ويوسف جميل الزغبي : أن واو الثمانية هي واو زائدة ، تدخل قبل العدد ((ثمانية)) وأن بعض النحويين زعموا أن العرب اعتبروا السبعة عددا تاما وما بعده عددا مستأنفا تذكر قبله واو لازمة ، نحو ما جاء في القرآن الكريم ، ﴿سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ بينما الآية قبلها خالية من الواو ، ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ ﴾.

ذكرا واو الثمانية باسمها وأنها واو زائدة تدخل قبل العدد ثمانية وأن العرب اعتبروا العدد سبعة عددا تاما وما بعده عددا مستأنفا.

والسؤال هنا بعد استعراض أقوال العلماء والنحاة هو : هل لهذه الواو حقيقة أو أصل في لغة العرب كما لسائر مسميات اللغة حقيقة وأصل؟

بعد استعراض لهذه الأقوال جميعها فيما يخص واو الثمانية نجد أن هناك فريقين:

فريق يقول بهذه الواو ومنهم ابن خالويه ، والحريري ، والمالقي ، والرازي ، والرماني ، والعاملي وأميل بديع يعقوب ، والطريفي ، والحمد والزغبي .

فريق لا يرى القول بها ومنهم : الزمخشري ، وابن هشام ، والزجاج ، والسهيلي ، والنحاس والهروي.

أما ابن القيم فلم ينف صراحة مسّمى واو الثمانية فهو يصرح بضعف ولا يقول بالنفي.

وباستعراض شواهد هؤلاء العلماء أرى أن هذه الواو حقيقة في لغتنا وأن كفة الذين يقولون بها هي الأرجح وأن القول بها يكون استحسانا أدبيا مبنيا على تلمس الجمال الفني وهي قاعدة نحوية سار عليها العديد من النحاة في قواعد اللغة العربية.

هوامش البحث

1 ـ ينظر : رصف المباني في شرح حروف المعاني ، المالقي ، تح : أحمد محمد الخراط ، دمشق ، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق 1975م ص410-441 ، وموسوعة الحروف في اللغة العربية إعداد أميل بديع يعقوب ، دار الجيل بيروت ، الطبعة الثانية 1410-1995م ص401-522 ومعاني الحروف ومخارجها وأصواتها في اللغة العربية ، يوسف عطا الطريفي ، دار الاسراء عمان الأردن 1422-2002م ص141-144.

(2) ينظر : رصف المباني في شرح حروف المعاني ، المالقي ، ص 441.(3) ينظر : موسوعة الحروف في اللغة العربية ، أميل بديع يعقوب ، ص401-522 .

(3) رصف المباني في شرح حروف المعاني ، المالقي ، ص 441

4 ـ سورة الكهف 22.

5 ـ يلاحظ أن أبا اسحاق – رحمه الله ـ أعاد الضمير على الواو في أول كلامه بضمير التأنيث ثم ذكرها بلفظ التذكير ، فقد يرى أنه يجوز فيها التذكير والتأنيث .

6 ـ معاني القرآن وإعرابه ، الزجاج ، شرح عبد الجليل عبده شلبي ، ط1 ، دار الحديث القاهرة 1414هـ 277/3.

7 ـ إعراب القرآن ، أبو جعفر أحمد بن محمد بن اسماعيل النحاس ، تح : زهير غازي زاهد ، عالم الكتب مكتبة النهضة ، 452/2 – 453.

8 ـ مغني اللبيب ، السيوطي ، تح : مازن المبارك ، ومحمد علي حمد الله ، راجعه سعيد الأفغاني ، دار الفكر ط6 – 1998م ص474.
9 ـ كتاب معاني الحروف ، الرماني ، تح : عبد الفتاح إسماعيل شلبي ، دار النهضة ، مصر للطباعة والنشر القاهرة مطبعة دار العالم العربي القاهرة ص63 – 64.
10 ـ سورة الزمر الآية 73.9
11 ـ معاني القرآن ، الفراء ، 2 / 321.
12 ـ المقصود هو : علي بن عيسى الربعي بن الفرج بن صالح البغدادي المنزل الشيرازي الأصل قرأ على أبي علي الفارس عشرين سنة ، ولد سنة 328 ، وتوفي سنة 420 هـ ببغداد و ينظر إنباه الرواه للقفطي ، تح محمد أبو الفضل إبراهيم طبعة دار الكتب1950 2/297.
13 ـ سورة التوبة الآية 112.
(14) معاني الحروف ، الرماني ، ص64 .
15 ـ كتاب الأزهية في علم الحروف ، لعلي بن محمد النحوي الهروي ، تح عبد المعين الملوحي ص231.
16 ـ درة الغواص في أوهام الخواص ، تح محمد أبو الفضل إبراهيم ، نهضة مصر للطبع والنشر ص31.
17 ـ مغني اللبيب ص 476.
18 ـ سورة الحجر الآية4.
19 ـ الكشاف ، شركة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ، تحقيق الرواية : محمد الصادق قمحاوي ، 2/479.
20 ـ سورة التحريم الآية5.
21 ـ صحة العبارة (لا تجتمعان فيهن) وربما يكون التصحيف من الناسخ أو المحقق
22 ـ شرح سيرة ابن هشام ، تحقيق وتعليق وشرح عبد الرحمن اكوليل ، طبعة دار الكتب1950 17/3 ، 171.
23 ـ البقرة : 126
24 ـ شرح سيرة ابن هشام ، / 171 .
25 ـ ينظر : غرائب آي التنزيل ، تحقيق عبدالرحمن بن إبراهيم المطرووومي ، ط1 ، دار عالم الكتب ص192 293.
26 ـ بدائع الفوائد ، ط1 ، ـ 1425هـ تحقيق علي بن محمد العمران. إشراف الشيخ : بكر بن عبدالله أبوزيد 3/918 – 919.
27 ـ بدائع الفوائد ، 3/918 – 919.
28 ـ الجامع لأحكام القرآن ، ط2 ، دار الكتب المصرية 1/382 – 383.
29 ـ بدائع الفوائد ، 3/918 – 919.
30. مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ص474 وما بعدها.
31 ـ سورة الشعراء الآية 28.
32 ـ بدائع الفوائد ، 3/918 – 919.
33 ـ المصدر السابق والصفحة.
34 ـ ينظر: تفسير البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي ، طبع بالتصوير ط1 ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع 2/112.
35 ـ مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ص474 وما بعدها.
36 ـ المصدر السابق والصفحة.
(37) تفسير البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي ، 2 / 112 .
38 ـ مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ص476.
39 ـ المصدر نفسه ، ص476 .
40 ـ مغني اللبيب ص 476.
41 ـ سورة الحاقة الآية8.
42 ـ مغني اللبيب ص 476.
43 التحريم : 5 .
44 ـ مغني اللبيب ص 476.
45 ـ المصدر نفسه ، ابن هشام ، ص 477 .
46 ـ المصدر نفسه ، ابن هشام ، ص 477 .
47 ـ المصدر نفسه ، ابن هشام ، ص 478 .
48 ـ رصف المباني في شرح حروف المعاني ، تح أحمد محمد الخراط مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ط1 – 1975م ص426.
49 ـ مغني اللبيب ص 476.
50 ـ سورة الصافات الآية 103-104.
51 ـ همع الهوا مع شرح جمع الجوامع ، تحقيق وشرح عبد العال سالم مكرم ، دار البحوث العلمية 1399هـ 1979م ، 5/230-231.
52 ـ المصدر نفسه ، السيوطي ، 5/230-231.
53 ـ ينظر الكشكول ، تح طاهر أحمد الزاوي ، دار إحياء الكتب العربية ، عيسى البابي الحلبي وشركاه 1/390.
54 ـ المصدر نفسه 1/391.
55 ـ موسوعة الحروف في اللغة العربية ، دار الجيل بيروت ، الطبعة الثانية 1415هـ - 1995م ص513 – 514.
56 ـ المعجم الوافي في النحو العربي ، دار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان ، دار الآفاق الجديدة ، الطبعة الأولى 1992م ص 359.